سلسلة المقالات
المنهجية
(٢٦)

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾

صِفَةُ الْوِلَايَةِ الشَّرْعِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَأَثَرُهَا في صَلَاحِ الْعُبُودِيَّةِ

كتبه

الدكتور عيد أبو السعود الكيال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للَّه ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عُدْوان إلَّا علىٰ الظالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، ﷺ، **أمَّا بعد:**

فقد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب: ٦].

وروىٰ البخاري في «صحيحه» (٦٧٣١) ومسلم (١٦١٩) وأبو داود في «سننه» (٣٣٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ قال: «**أنا أوْلىٰ المؤمنين من أنفسهم**»، وعند أبي داود: «**أنا أوْلىٰ بكل مؤمن من نفسه**»، بوَّب البخاري لهذا الحديث في كتاب الفرائض، باب: من ترك مالًا فلأهله، وعند مسلم في: «شرح مسلم للنووي» باب: من ترك مالًا فلورثته، وكذلك الحديث عند الترمذي في «سننه» (١٠٧٠) باب: ما جاء في الصلاة علىٰ المديون في كتاب الجنائز.

وأورده المجد ابن تيمية في «المنتقىٰ» (٢٣٠٥) في باب: ضمان دين الميت المفلس؛ وذلك لأنَّ لفظ الحديث كاملًا: «**أنا أوْلىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلينا قضاؤه، ومن ترك مالًا فلورثته**».

ولذلك شرح أهل العلم هذا الحديث علىٰ ظاهر لفظه ومعناه المنصوص، وكذلك فسَّر المفسّرون الآية علىٰ هذا السياق.

وكذلك فعل ابن كثير والقرطبيّ وغيرهما، كشيخ المفسّرين ابن جرير الطبريّ كذلك.

● غير أنّي قد وقفت علىٰ تفسير لبعض أهل العلم من المفسّرين علىٰ تفسيرٍ بمعنىٰ آخر، هو أجمع وأشمل مِمَّا قيل، وهذا الذي دفعني إلىٰ كتابة هذه المقالة

التي بين أيديكم.

فقد روىٰ البخاري في «صحيحه» (٤٧٨١) عن أبي هريرة عن النَّبِيّ ﷺ قال: «**ما من مؤمن إلَّا وأنا أوْلىٰ النَّاس به في الدنيا والآخرة**»، اقرؤوا إنْ شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب: ٦].

- **بيان مفهوم الولاية النبويّة والدليل عليها:**
- **قال أبو عبد اللَّه القرطبيّ في: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٩١ - ٩٢):**

«. . . . . وقال ابن عطية: وقال بعض العلماء العارفين: هو أوْلىٰ بهم من أنفسهم؛ لأنَّ أنفسهم تدعوهم إلىٰ الهلاك، وهو يدعوهم إلىٰ النجاة.

قال ابن عطيّة: ويُؤيد هذا قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**أنا آخذ بحجزكم عن النَّار وأنتم تقتحمون فيها تقحّم الفراش**».

[قال القرطبيّ:] قلت: هذا قول حسن في معنىٰ الآية وتفسيرها، والحديث الذي ذكره أخرجه مسلم في «صحيحه» [٢٢٨٤] عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّما مثلي ومثل أمّتي، كمثل رجل استوقد نارًا، فجعلت الدَّواب والفراش يقعن فيه، وأنا آخذِ بحجزكم، وأنتم تقحّمون فيه**».

وعن جابر مثله، وقال: «**وأنتم تفلّتون من يدي**» [رواه مسلم (٢٢٨٥)].

قال العلماء: الحُجزة للسراويل، والمعقد للإزار، فإذا أراد الرجل إمساك من يخاف سقوطه أخذ بذلك الموضع منه، وهذا مثل لاجتهاد نبيّنا -عليه الصلاة والسلام- في نجاتنا، وحرصه علىٰ تخلّصنا من الهلكات التي بين أيدينا، فهو أوْلىٰ بنا من أنفسنا، ولجهلنا بقدر ذلك، وغلبة شهواتنا علينا، وظفر عدوّنا اللعين بنا؛ صرنا أحقر من الفِراش وأذلّ من الفراش، ولا حول ولا قوة إلَّا باللَّه العليِّ العظيم!

وقيل: أوْلىٰ بهم؛ أي: أنّه إذا أمر بشيء، ودعت النّفس إلىٰ غيره، كان أمر

النَّبِيّ ﷺ أوْلىٰ.

وقيل: أوْلىٰ بهم أي: هو أوْلىٰ بأن يحكم علىٰ المؤمنين فينفذ حكمه في أنفسهم؛ أي: فيما يحكمون به لأنفسهم ممَّا يخالف حكمه». اهـ.

قلت: فصارت كلمة «أوْلىٰ» أفرض وأوجب بإلزام وحتم لا فصال فيه ولا جدال ولا مراء.

وذلك أصل دين الإسلام، وهو المراد بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والعبادة أمر ونهي من اللَّه ورسوله، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨].

ويؤكد ذلك ويبيّنه ويوضحه: ما قاله السعدي في «تفسيره»: «تيسير الكريم الرحمن» (ص٦٥٩) قال:

«يُخبر تعالىٰ المؤمنين خيرًا يعرفون به حالة الرسول ﷺ ومرتبته، فيعاملونه بمقتضىٰ تلك الحالة، فقال: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أقرب ما للإنسان، وأوْلىٰ ماله: نفسه، فالرسول أوْلىٰ به من نفسه؛ لأنه -عليه الصلاة والسلام-، بَذَلَ لهم من النُّصح والشَّفقة والرَّأفة، ما كان به أرحم الخلق وأرفأهم، فرسول اللَّه ﷺ أعظم الخلق مِنَّة عليهم من كُلِّ أحد، فإنَّه لم يصل إليهم مثقال ذرّة من الخير، ولا اندفع عنهم مقال ذرة من الشر؛ إلَّا علىٰ يديه وبسببه، فلذلك وجب عليه أنَّه إذا تعارض مراد النفس، أو مراد أحد النَّاس مع مراد الرسول، أن يقدِّم مراد الرسول.

وأن لا يعارض قول الرسول بقول أحد كائنًا من كان، وأن يُفْدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، ويقدّموا محبّته علىٰ محبَّة الخلق كلهم، وألَّا يقولوا حتىٰ يقول، ولا يتقدموا بين يديه». اهـ.

أثر الولاية في صلاح دين العبد واستقامة منهجه:

قلت: ومصداق قول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الآيات والأحاديث، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وآية المقالة: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فكانت الآية تفسيرًا وتبيينًا لها، وهذا من أجلّ وأعظم ركائز الدين ودعائمه وأسسه التي يستقر عليها دين الإسلام وقال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وروىٰ ابن بطة العكبري في: «الإبانة الكبرىٰ» (١٠٢) والآجري في «الشريعة» (١٠٤) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٩٢٢)، والمروزي في «السُّنَّة» (٨٠) عن عمر بن عبد العزيز قال: «لا رأي لأحد مع سُنّة سنّها رسول اللَّه ﷺ»، وروىٰ البخاري في «صحيحه» (١٤) من حديث أنس عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من نفسه وولده والنَّاس أجمعين**».

وروىٰ البخاري في «صحيحه» (٦٦٣٢) عن عمر رضي الله عنه، عن النَّبِيّ ﷺ قال: يا رسول اللَّه، واللَّه لأنت أحبّ إليّ من كل شيء إلَّا نفسي، فقال ﷺ: «**لا يا عمر، حتىٰ أكونَ أحبّ إليك من نفسك**»، فقال: يا رسول اللَّه، لأنت أحبّ إلىٰ من كل شيء حتىٰ من نفسي، فقال: «**الآن يا عمر**». قلت: يعني بذلك استقر الإيمان الحق في قلبك.

ذكر ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ١٩١) هذين الحديثين عند تفسير آية الباب، وهذا يؤكد ما اخترته وقدّمته في هذه المقالة لمعنىٰ الولاية النبويّة.

فظهر من هذه الآيات والأحاديث وتفاسير أهل العلم مراد اللَّه بالولاية الشرعية النبويّة وأثرها في صلاح دين العبد، وصفة العبودية الحقّة، وما كان من الأوامر والنواهي والوقوف عند حدود اللَّه، وإقامة السُّنن المحمّدية وامتثال الأحاديث معتقدًا، وقولًا، وفعلًا، ومنهجًا، وهديًا، وطريقًا، وسبيلًا وشريعة، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق من ذلك قُبِل، وما خالفه فهو مَرْدُود علىٰ قائله وفاعله كأنًا من كان.

كما روىٰ البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) في «صحيحهما» عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردّ**»، وهذا هو أمرنا الأم الرئيس قال ذلك ابن كثير في «تفسيره» **(٥/ ٣٧٥)** عند قوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]؛ إذْ أمر رسول اللَّه ﷺ هو سبيله هو ومنهاجه وطريقته وسنّته وشريعته، ولهذا، فلا رأي لأحد بعد سُنّة سنها رسول اللَّه ﷺ.

- **منهجيّة النذير العُرْيان هي العمود الفقريّ للدعوة على بصيرة:**

ومن جملة الأدلة في هذا السياق: ما رواه البخاري في «صحيحه» (٧٢٨٣) ومسلم (٢٢٨٣) من حديث أبي موسىٰ الأشعريِّ عن النَّبِيّ ﷺ قال: «**إنَّما مثلي ومثل ما بعثني اللَّه به، كمثل رجل أتىٰ قومًا فقال: يا قوم إنِّي رأيت الجيش وإنِّي أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا علىٰ مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وكذَّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتَاحَهُم، فذلك مثل من أطاعني فاتَّبع ما جُئْتُ به، ومثل من عصاني وكذَّب بما جئت به من الحق**» إنَّ المراد بالنذير العريان بمفهومه العام، وشمولية الدعوة إلىٰ اللَّه علىٰ بصيرة، هو كل من قام بما قام به رسول اللَّه ﷺ، كما مرّ في الآيات والأحاديث السابقة، وبيان مرادها ومعانيها، التي تلزم الداعية الحصيف بإقامة الكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين علىٰ مثل ما كان عليه النَّبِيّ ﷺ وأصحابه

الكرام، حتىٰ يرجع الدين إلىٰ السبيل العتيق؛ وذلك بتنقية عرىٰ الإسلام وأركانه ودعائمه، وتصفية ما لحق به من كل ما يخالف النصوص.

● **ومن جملة الأدلة من القرآن**: ما قاله اللَّه تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨ - ١٢٩].

قال السعديِّ في «تفسيره» (ص: ٣٥٦ - ٣٥٧):

«يمتن تعالىٰ علىٰ عباده المؤمنين بما بعث فيهم النَّبِيّ الأُميّ الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النّصح لهم، والسَّعي في مصالحهم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؛ أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم؛ [أي: يشق عليكم ويجهدكم]، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، فيُحِبُّ لكم الخير، ويسعىٰ جهده في إيصاله إليكم، ويحرص علىٰ هدايتكم إلىٰ الإيمان، ويكره لكم الشَّر، ويسعىٰ جهده في تنفيركم عنه ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم، ولهذا كان حقه مُقدّمًا علىٰ سائر حقوق الخلق، وواجب علىٰ الأمّة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره وتوقيره ﴿فَإِن﴾ آمنوا، فذلك حظّهم وتوفيقهم، وإن ﴿تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإيمان والعمل فامض علىٰ سبيلك، ولا تزل في دعوتك، وقل ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: اللَّه كافيَّ في جميع ما أهمَّني ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا معبود بحق سواه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾؛ أي: اعتمدت ووثقت به في جلب ما ينفع، ودفع ما يضرّ، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الذي هو أعظم المخلوقات، وإذا كان ربّ العرش العظيم الذي وسع المخلوقات، أنَّ ربًّا لما دونه من باب أوْلىٰ وأخرىٰ». اهـ.

وذكر ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية، ما رواه أحمد في «المسند» (٢١٣٣١)، (٢١٢٥٨) والطبراني في «الكبير» (١٦٤٧)، والبزَّار في «مسنده»

(١٤٧) وابن حبان في «صحيحه» (٦٥) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣٩٧٣) وقال: رواه الطبرانيّ ورجاله رجال الصحيح، من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «لقد تركنا محمد ﷺ -وفي رواية: قد تركنا رسول ﷺ- وما في السماء طائر يطير بجناحيه إلَّا أذكرنا منه علمًا»، وفي رواية: «إلَّا ذكرنا منه علمًا».

وهذا الحديث مهم في هذا الباب؛ لأنّه يظهر ويكشف أنَّ رسول اللَّه ﷺ ما ترك من شاردة ولا واردة، ولا صغيرة ولا كبيرة إلَّا وعلَّم أمته الدين كله؛ ولذلك قُبيل موته وفي حجة الوداع بعرفة نزل عليه قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ﴾ [المائدة: ٣]، فالحمد للَّه أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، علىٰ هذه الولاية النبوية المحمدية، التي تولَّاها رسول اللَّه ﷺ، وما له علىٰ أمّته من الواجبات التي بها معالم الدين ودعائمه.

وروىٰ الحاكم في «المستدرك» (٧٦٢٦) وقال: حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الذهبي في «التلخيص»: علىٰ شرط البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لتدخلن الجنَّة إلَّا من أَبَىٰ وشرد علىٰ اللَّه كشراد البعير**».

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٢٨١) عند حديث (٧٢٨٠): «وسنده علىٰ شرط الشيخين».

وحديث البخاري (٧٢٨٠) المذكور والذي نصّه، من حديث أبي هريرة أيضًا عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**كل أمّتي يدخلون الجنَّة إلَّا من أَبَىٰ**» قالوا: يا رسول اللَّه ومن يأبَىٰ؟! قال: «**من أطاعني دخل الجنَّة، ومن عصاني فقد أبَىٰ**».

قلت: وهذه صفة الولاية الشرعية النبويّة.

كذلك ذكر ابن كثير في هذا السياق: ما رواه أحمد في «مسنده» (٣٧٠٤) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، ففصّل فيه القول الحديثي، من حديث

عبد اللَّه بن مسعود قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ اللَّه لم يحرَّم حُرْمة إلَّا وقد عَلِمَ أنّه سيطَّلعها منكم مُطَّلع، ألا وإنِّي آخذٌ بحُجَزِكُمْ أنْ تهافتوا في النَّار، كتهافت الفراش أو الذباب**»، وهذا الحديث من صفة الولاية الشرعية النبويّة.

- **ومن أجل آثار صلاح العبودية هذا الحديث والعمل به؛ لأنه ركن عظيم في استقامة دين المكلف وهو:**

ما رواه ابن أبي عاصم في: «السُّنَّة» (١٥)، والبغويُّ في: «شرح السُّنَّة» (١٠٤) وأورده النوويّ في: «الأربعين» (٤١) وقال: «حديث صحيح رويناه في: «كتاب الحجّة» بإسناد صحيح»، وأقرَّه ابن حجر العسقلاني في: «فتح الباري» (١٣/ ٢٩٨) وقال: «رجاله ثقات، وقد صححه النووي في آخر الأربعين»، من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص عن النَّبِيّ ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جِئْتُ به**».

ويؤكد هذا الحديث: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فأمر الهوىٰ مهلك للدين، وناقض لعرىٰ الإسلام، ومدمّر لدعائمه.

ومن أحسن ما قيل من الآثار في هذا الباب: ما رواه أبو نعيم في: «حلية الأولياء» (٨٤٥٥) عن عطاء السَّلِيميِّ أنه قال: «بلغنا أنَّ الشهوة والهوىٰ يغلبان العلم والعقل والبيان»، وهذا البلاغ طامّة كبرىٰ، ومصيبة عظمىٰ، وآفة جليلة تنقض عرىٰ الإسلام عروةً عروةً، والمخرج من ذلك كله اتباع الكتاب والسُّنَّة والعمل بهما قولًا وفعلًا ونيَّة خالصة للَّه وحده ﷻ، وذلك من أعظم الولاية الشرعية النبوية؛ لأنها جمعت الخير كلّه ودفعت الشرّ كله، فيا له من حديث جليل.

● **خلاصة المقالة:**

فإذا كان ذلك كذلك، فلا خلاص ولا مناص ولا نجاة مِمَّا فيه العباد والبلاد إلَّا بالتّمسّك بمثل ما كان عليه النَّبِيّ ﷺ وأصحابه الكرام ومن تبعهم بإحسان، فلا رأي لأحد مع سُنَّة سنَّها رسول اللَّه ﷺ، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]، وقال: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

ومن لوازم ذلك ومقتضياته: كسر كل طاغوت يُعْبَدُ من دون اللَّه، من الهوىٰ، والشهوات، والعقل الذي يخالف النُّصوص الشرعية، والتأويلات التي تعارض الكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين، والاستحسان المنافي للمقاصد الشرعية وأركانها، فإنَّ من أعظم المفاسد التي تنقض عرىٰ الإسلام وتهدمها: آراء الرجال التي تقدَّم علىٰ القرآن والحديث، والاستحسانات العقلية الشيطانية المُزيّنة في القلوب بألسنة الفلاسفة، والمناطقة، والمتكلمين، والعلمانيين، واللبراليين، الذين يسعون سعيًا حثيثًا وجهدًا دؤوبًا في تشويه الدين، بمكر دفين، وليس ثَمَّ إلَّا عبادة العقول والأهواء، التي جُبلت علىٰ كراهية الانقياد للكتاب والسُّنَّة، وبغض الاقتداء والاتباع، هؤلاء المُتمرّدون علىٰ كل عتيق من هدي الصحابة السلف الأكرمين سادات الأمة ورؤسائها وكبرائها ونجاتها، أهل الاستقامة والصلاح، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٢، ١١٣]، اللهم قيض لهذه الأمة أمرًا رشيدًا يعز فيه وليك، ويُذل فيه عدوك، ويؤمر فيه بالمعروف، ويُنه فيه عن المنكر ﴿إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن

كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٦، ٤٧].

وللَّه الأمر من قبل ومن بعد، ولا حول ولا قوة إلَّا باللَّه، وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

كتبه

الدكتور عيد أبو السعود الكيَّال